ABES13

**أحاديث الأذكار والأدعية 53 - أذكار الخروج من المنزل**

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله؛ صلى الله وسلَّم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد:

فهذا بيانٌ لما يستحب للمسلم أن يقوله إذا خرج من منزله.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ النَّبِيَّ قَالَ: ((**إِذَا خَرَجَ الرَّجُلُ مِنْ بَيْتِهِ فَقَالَ: «بِسْمِ اللَّـهِ، تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّـهِ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّـهِ» يُقَالُ حِينَئِذٍ: هُدِيتَ وَكُفِيتَ وَوُقِيتَ ، وَتَنَحَّى عَنْهُ الشَّيْطَانُ ؛ فَيَقُولُ لَهُ شَيْطَانٌ آخَرُ: كَيْفَ لَكَ بِرَجُلٍ قَدْ هُدِيَ وَكُفِيَ وَوُقِيَ**؟)) رواه أبو داود والترمذي.

هذا ذِّكرٌ مبارك نافعٌ للمسلمِ يستحب أن يقوله في كلِّ مرَّةٍ يخرج فيها من بيته لقضاء شيء من مصالِحه الدينية أو الدنيوية؛ وذلك ليكون محفوظاً في سيره، مُعانًا في قضاء مصالحه، مسدَّدًا في وجهته وحاجته، والعبدُ لا غِنى له عن ربِّه طرفة عين، أن يكون له حافظاً ومؤيِّداً ومُسدِّداً وهادياً، ولا ينال العبدُ ذلك إلاَّ بالتوجُّه إلى الله في حصوله ونيله، فأرشد صلوات الله وسلامه عليه مَن خرج من مَنْزله إلى أن يقول هذا الذِّكرَ المبارك ليُهدى في طريقه، وليُكفى هَمَّه وحاجتَه، وليوقى الشرور والآفات.

قوله: «**إذا خرج الرَّجلُ من بيته**» أي: حال خروجه من بيته ، لا يقوله وهو في وسط المنزل لم يخرج بعد ، ولا يقوله أيضا بعدما يمضي في الطريق، لكن لو فاته ذلك في أول الخروج، فلا بأس أن يأتي به إذا خرج، ومثلُ البيت المنزل الذي يُسافر منه المسافر.

وقوله: «**بسم الله**» أي: بسم الله أخرج، فكلُّ فاعلٍ يقدِّر فعلاً مناسباً لحالِه عندما يبسمل، والباء في «بسم الله» للاستعانة، أي: أخرج طالباً من الله العون والحفظ والتسديد.

وقوله: «**توكَّلت على الله**» أي: اعتمدتُ عليه، وفوَّضتُ جميعَ أموري إليه، فالتوكُّلُ هو الاعتمادُ والتفويض وهو من أعمال القلوب، ولا يجوز صرفُه لغير الله، بل يجب إخلاصُه لله وحده، قال تعالى: {وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ}[المائدة:23] أي: عليه وحده لا على غيره؛ فجعل ذلك شرطاً في الإيمان.

والتوكلُ أجمعُ أنواع العبادة وأعلى مقامات التوحيد وأعظمُها؛ لِمَا ينشأ عنه من الأعمال الصالحة والطاعات المتنوِّعة، فإنَّه إذا اعتمد العبدُ على الله في جميع أموره الدينية والدنيوية دون مَن سواه صحَّ إخلاصُه، وقويت صلتُه بربه، وزاد إقباله عليه، وكفاه اللهُ همَّه، قال الله تعالى: { وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ}[الطلاق:3] أي: كافيه، ومَن كان الله كافيه فلا مطمع فيه لعدوٍّ، ولو كادت له السموات والأرض ومَن فيهنَّ لجعل الله له فرَجاً ومخرجاً ورزقه من حيث لا يحتسب. وفي هذا دلالةٌ على عِظَمِ فضل التوكل وأنَّه أعظمُ أسباب جلب المنافع ودفع المضار.

وقوله: «**لا حول ولا قوة إلاَّ بالله**»، هي كلمة إسلامٍ واستسلامٍ وتفويضٍ إلى الله، وتبرؤ من الحول والقوَّة إلاَّ به، وأنَّ العبدَ لا يملك من أمره شيئاً، وليس له حيلةٌ في دفع شرٍّ ولا قوَّةٌ في جلب خير إلا بإرادته سبحانه، وقولُ «لا حول ولا قوة إلاَّ بالله» تُنال به الإعانة من الله .

ومعنى «لا حول ولا قوة إلا بالله»: أي لا تحوّل من حال إلى حال ولا حصول قوة للعبد إلا بالله؛ لا تحوّل من مرض إلى صحة، ولا من فقر إلى غنى، ولا من جهل إلى علم، ولا من تقاعس عن العبادة إلى الجد فيها؛ إلا بالله .

ولو تأمَّل المسلم هذا الذِّكرَ لوجده من أوَّله إلى آخره مشتملاً على الالتجاء إلى الله، والاعتصام به، والاعتماد عليه، وتفويض الأمور كلِّها إليه، ومَن كان كذلك حظي بحفظ الله له وعونِه وتوفيقِه وتسديدِه.

وقوله: «**يُقال حينئذ**» وفي رواية: «**يُقال له هُديتَ وكفيتَ ووُقيتَ**»؛ يجوز أن يكون القائلُ هو الله ، ويجوز أن يكون مَلَكاً من الملائكة.

وقوله: «**هُديتَ**» أي: إلى طريق الحقِّ والصواب بسبب استعانتك بالله على سلوك ما أنت بصددِه، ومَن يهده الله فلا مُضِلَّ له.

وقوله: «**وكفيت**» أي:كُفيت كلَّ همٍّ دنيوي أو أُخروي.

وقوله: «ووُقيت» أي: حُفظتَ من شرِّ أعدائك من الشياطين وغيرهم.

وقوله: «**فيتنحّى عنه الشيطان**» أي: يبتعد عنه الشيطان؛ لأنَّه مَن كان هذا شأنه فلا سبيل للشيطان عليه؛ لأنَّه قد أصبح في حِصنٍ حصين وحِرزٍ مكين يُحمى فيه من الشيطان الرجيم.

وقوله: «**فيقول شيطان آخر: كيف لك برجل قد هُدي وكُفي ووُقي**»، أي: يقول أحد الشياطين لهذا الشيطان الذي كان يريد إغواء هذا الشخص وإيذاءه: كيف لك برجلٍ قد هُدي وكُفي ووقي؟ أي:كيف لك السبيلُ إلى إغواء وإيذاء رجل نال هذه الخصال؛ الهدايةَ والكفايةَ والوقايةَ.

وهذا يدلُّنا على عِظَم شأن هذا الذِّكر المبارك وأهميَّةِ المحافظةِ عليه عند خروج المسلم من منْزله في كلِّ مرَّة يخرج فيها؛ لينال هذه الأوصافَ المباركةَ والثمارَ العظيمة المذكورة في هذا الحديث.

وهذا القول «**كفيتَ ووقيتَ وهديتَ**» وإن كان من خرج من بيت لا يسمعُ صوتًا ولا قائلا، لكن المؤمن من ذلك على يقين، فهذا من جملة الإيمان بالغيب الذي مدح الله أهله بقوله **﴿**هُدًى لِلْمُتَّقِينَ (2) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ**﴾** [البقرة:2-3]، فيخرج على الثقة بالله تبارك وتعالى وحسن الاعتماد عليه جل وعلا، مطمئنةً نفسه بحصول الكفاية والهداية والوقاية.

وكل واحدةٍ من هذه الثلاث لها متعلَّق؛ وذلك أن من خرج من بيته لمصلحة دينية أو دنيوية يحمل همَّ تحقق الأمر الذي خرج لأجله وانشغل باله به ، ويحمل هم السلامة من شر الأشرار وكيد المؤذين وعدوان المعتدين، ويحمل أيضًا همَّ السداد والتوفيق والإصابة فيقال له في ذلك كله «هُديت وكُفيت ووقيت».

«هُديت» أي: الطريق المستقيم والجادة السوية وسلِمت من الضلال، ويدخل في ذلك اهتدائه إلى المصالح التي خرج لأجلها من مصالح دينه ودنياه.

و«كُفيتَ»: أي ما أهمك؛ لأن من يخرج يخرج مهتمًا لأمرٍ ما يحمل همَّ فعله وهمَّ تحققه وصلاحه، فيقال له «كفيت» أي أمر هذا الذي أهمك.

و«وُقيتَ» أي: مما تخشى أن يحصل لك من ضررٍ أو أذى أو ظلمٍ أو عدوانٍ أو نحو ذلك.

ثم إن المرء في كل مرة يخرج فيها من بيته فإن الشيطان عند بيته قاعدٌ بانتظار خروجه، وقد قال عليه الصلاة والسلام: ((إن الشيطان قاعد لابن آدم بأطرقه)) أي: في كل طريق يسلكه فهو قاعد له فيه لا يَكل ولا يَمل. وهذا يؤكد الحاجة الشديدة والضرورة الملحة ألا ينسى المسلم هذه الكلمات في كل مرة يخرج فيها من بيته، لأنك في كل مرة تخرج فيها من بيتك تحتاج إلى هذه الأمور العظام: الهداية، والكفاية ، والوقاية، وتحتاج أيضا أن يبتعد عنك الشيطان، ولهذا قال: ((تنحَى عنه الشيطان)) بمعنى: ابتعد، ومن خرج على هذه الحال خرج محصناً بالذكر، ومن كان لله ذاكراً فليس للشيطان عليه سبيل ولهذا قال: ((**تنحى عنه الشيطان فيقول لشيطان آخر كيف لك برجل قد هُدىَ وكُفىَ ووقىَ**))، إنما سبيلُه على الغافلين، كما قال الله :﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾[الزخرف:36] .

وتأمل هنا أن من يذكر الله هذا الذكر عندما يخرج من بيته، يسْلم من هذا الشيطان الذي يرصده ليخرج، ويسْلم أيضا من أعوانه وإخوانه من الشياطين. وهذا فيه فائدة: أن الذي يرصد الإنسان لإغوائه ليس شيطانًا واحدًا بل شياطين، ولهذا إذا خرج المسلم من بيته مسميًا ذاكرًا لله؛ أعلمَ الشياطين بعضهم بعضاً أن هذا لا سبيل لهم عليه، فلا يتعرض له أحدٌ منهم، لأنه خرج وهو في حصنٍ حصين وحرزٍ متين يحميه بإذن الله تبارك وتعالى من الشيطان الرجيم.

ومن فوائد هذا الحديث: أن التوكل لابد فيه من بذل السبب، أما التوكل مع تعطيل الأسباب فهو تواكل ، فهذا المذكور في الحديث خرج من بيته واتجه إلى مصالح دينه ودنياه وهذا بذَل السبب ، وهو مع بذل السبب معتمدٌ على الرب تبارك وتعالى الذي بيده أزمّة الأمور، فلم يأتي بالتوكل مع تعطل الأسباب ، ولم يأتِ بالأسباب معتمدًا عليها ؛ بل جاء بالأمرين معـاً ، على حد قول النبي : ((احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلاَ تَعْجِزْ)) ، وقال : ((لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَوَكَّلُونَ عَلَى اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرُزِقْتُمْ كَمَا يُرْزَقُ الطَّيْرُ تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا)) ؛ فالطير بذلت السبب فهي تغدو تبحث عن الرزق لا تبقى في عشها تنظر مجيئه، ولهذا يخطئ بعض الناس في فهم التوكل فيظن أن التوكل أن يبقى الإنسان معطِّلا الأسباب اعتمادًا على التوكل، وهذا تفريط وإضاعة.

وقد قال سعيد بن جبير :: «التوكل على الله جماع الإيمان» ؛ وذلك أن حقيقة التوكل هو عمل القلب وعبوديته اعتماداً على الله وثقةً به والتجاءً إليه وتفويضاً إليه ورضا بما يقضيه له؛ لعلمه بكفايته سبحانه وحسن اختياره لعبده إذا فوَّض إليه أموره ، مع قيامه بالأسباب المأمور بها واجتهاده في تحصيلها، وهو مصاحبٌ للمؤمن في أموره كلها الدينية والدنيوية؛ فهو مصاحبٌ له في صلاته، وصيامه، وحجِّه، وبرِّه، وغير ذلك من أمور دينه ، ومصاحب له في جلبه للرزق وطلبه للمباح وغير ذلك من أمور دنياه.

وأسأل الله أن يوفقنا أجمعين لكل خير، وأن يصلح لنا شأننا كله، إنه سميعٌ قريبٌ مجيب .

وصلى الله وسلَّم على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .